

134- قبيلات وأحضان، وحوار الأديبان

قبيلات وأحضان، وحوار الأديبان*

فرضت على مهنتي، و"لغات" مرضاي، أن أحسن الانصات للغات كثيرة معاً، عبر قنوات كثيرة من أهمها تعبيرات الوجه والجسد والعيون، كما فرضت على الفرص المتنوعة التي تتيح لي متابعة الشأن العام أن أقرأ صور الأخبار أكثر من الأخبار والكلمات المتبادلة.

في مهنتي أسمح لأم المريض أو أخته أن تظل مرتدية النقاب وهي تبلغني أحوال ابنها أو أخيها، (هي حزة!) لكنني أعتذر عن مواصلة الكشف على مريضة تصر على ارتداء النقاب لأن الوجه قد يقول كلاماً غير الكلام، فإذا رفضت وأصرت فإنني أعتذر وأرجع لها الكشف، وسوف تجد أفضل مني.

كذلك في العلاج، خاصة العلاج الجمعي، نعتني بالانتباه إلى تفاصيل تغيرات الوجه والعيون، وتغير لون البشرة، وقد صوّرت ذلك في ديواني "أغوار النفس" قائلاً "... مش بس غنيك، تَدْوِيرَة وشك، وسلام بُقْكَ على خَدِّكَ، والهزه فْ دَقْنِكَ، وكلام اللون: اللون الباهت المَيْثُ، واللون الأَرْضِي الكَلْحَانُ، واللون اللَّي يطق شَرَّار، واللون اللَّي مالوش لون، وعروق الوش، والرقبية، وخطوط القورة، وطريقة بَلْعِكَ ريقك، تشويجة إيدك، إلى آخره !

الصور التي تنشر في الصحف لا يصلني منها لون أو رائحة، وإن كنت أخلقهما، وحتى صور التليفزيون، ليست كافية لنقل نبض الجسد الحي، ومع ذلك فما يصلني يسمح لي أن أتساءل عن هؤلاء الرؤساء العظام، الذين يقبلون بعضهم البعض، ويتسمون للمصورين، بينما دمء الأطفال الأبرياء، والكهول وكل الناس تسيل أنهاراً، وبينما أجساد المظلومين تتناثر أشلاء، وبينما كرامة البشر تداس بأقذر الأحذية، أتابع ابتساماتهم على اختلاف مساحة انفراج الشفاه، ولعة الأعين، وأتعجب وأنا أدعو لهم بالصر والتوفيق، ولا أخفي - على نفسي - إعجابي الخاص بهم، وربما حقدى على قدرتهم على السيطرة على مشاعرهم الحقيقية (إن وجدت) وليس هذه الابتسامات الدبلوماسية الرائقة.

الأصعب عندي في الفهم والتقبل تلك "الأحضان الحوارية" التي يتعانق فيها أهل الأديان المختلفة ورؤساؤها وهم يعلنون بصدق أنهم يحبون بعضهم البعض جدا جدا، لدرجة أن أيا منهم لا يدعى للمحسوب أن يهديه عقله القاصر إلى أنه على باطل 100 % وبالتالي، يتمنى المتعانق منهم - إخلاصا لدينه - ومن فرط حبه لحضينه (الذي يحضنه) أن يُدخله دينه، لأن هذا هو **الطريق الوحيد** الذي يمكن أن ينقذه من العمى الذي هو فيه، لأنه لو استعمل "عقله السليم" إذن لاهتدى إلى الدين السليم، (دين الخاضع) وبالعكس! وهم يعلنون "حوار الأديان" و"قبول الآخر"، بالمرّة!! .

أكرر كيف أن البابا شنودة نبهنا مرارا أنه لا "حوار بين الأديان" وأن الحوار الممكن هو بين المتدينين، وقد عاد الابن إبراهيم عيسى ينبه إلى مثل ذلك في كلمته الافتتاحية في أحد أعداد الدستور اليومية منذ أسابيع، وهذا وذاك من أصح الصحيح،

إن حوار المتدينين إنما يدور - على أحسن الفروض - حول كيف نتفق على المساحة المسموح فيها بالحوار، وأن نتجنب المساحات المخرجة الأخرى، التي لا يتم فيها الحوار إلا بين أفراد نفس الدين، بل نفس المذهب، أو نفس الملة، هذا إذا كانوا - ولا مؤاخذاة - يعرفون ماذا يعنى الحوار أصلاً .

أما حوار الأديان الحقيقي فأنا مع البابا شنودة - كل سنة وهو وهم ونحن طيبون - ومع أبي يحيى (إبراهيم عيسى) وأستاذهما في شرح السبب":

إن حوار الأديان إن صدق فعلا وكان جدلا حيا ومسئولا ومتطورا، لابد وأن يخرج منه "دين جديد"، توليف يجمع الاختلاف في كل جديد، وقد وقع في هذا المأزق مجتهدون وانتهى بهم الأمر إلى كوارث بلا حدود، حيث ظهرت أديان توفيقية أو تلفيقية مثل البهائية، والكنيسة الذهبية، وكنيسة جيم جونس إلخ.

ما العمل إذن؟

هل تتوقف الأديان عن الحوار نهائيا؟ وكيف؟

هل نكتفى بحوار المتدينين وهم وشطارتهم؟

هل نضع رؤوسنا في الرمال ويغفى كل منا دينه - وخصوصا في البطاقة الشخصية والعائلية وجواز السفر!!- ثم نتحاور ونحن ناقصون معلومات عن بعضنا البعض وكأن دين كل منا "عيب" لا يجوز أن يطلع عليه غريب!! .

ليست عندي إجابات قابلة للتعميم في مرحلتنا الراهنة .

فقط ليكن كل منا أمينا مع دينه الذي ولد به، ومع وجوده مع آخرين مختلفين، هم أيضا ولدوا فوجدوا أنفسهم الناحية الأخرى، وأن يتق الله ربّه، وأن يقرأ كتابه، وكفى

بنفسه عليه حسبا، وأن يفهم تفسير "محمد إقبال" فكرة ختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام، بأنه تنبيه بأن البشرية قد نعتت، وأن الآوان أن يحمل كل إنسان مسئولية وجوده بنفسه دون انتظار وحى جديد يحل له مشاكله.

* تنويه: ابتداء من اليوم سوف تخصص يوم السبت لنشر ما يسمى تعتعة، وهو المقال الذي يكتبه أ.د. يحيى الرخاوي في العدد الأسبوعي لصحيفة الدستور، ذلك لأنه وصلنا ما يفيد أن الدستور لا تصل إلى من يريدون متابعة هذه التعتعة في الخارج بوجه خاص، هذا علما بأن فكرة التعتعة هي تحريك الوعي للشخص العادي في مواجهة القضايا الجارية والجمود الجاثم.

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr

Mail To Forum Participate

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

FORUM INVITATION

www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf